

مقتضى الحال في الدرس الدلالي النحوي العربي

م.م.فيان رياض اديب

وزارة التربية، مديرية تربية ديالى

Ssiaf310@gmail.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين صلاةً وسلاماً دائماً دائمين الى يوم الدين وبعد :

إنّ هذا البحث الموسوم بـ " مقتضى الحال في الدرس الدلالي النحوي العربي " قد يشكل ضرورة علمية لغوية مهمة في مجال البحث العلمي ، وقد يفتح أفقاً جديدة في هذا المجال ، و الهدف من هذا البحث بيان أهمية مقتضى الحال في دلالة النحو التركيبية ، وليس الهدف بيان تفاصيل الدلالة النحوية وانواعها ، وتقديمها بتشعب واتساع.

يتكون هذا البحث من تمهيد تطرقت الباحثة فيه إلى تحديد مصطلحات البحث : مقتضى الحال ، وعلم الدلالة بشكل عام ، والدلالة النحوية بشكل خاص ، ومبحثين ، تضمن المبحث الأول : مقتضى الحال والمسند والمسند إليه ، وتضمن المبحث الثاني : مقتضى الحال وظاهرة الاعراب ، وقد انتهت الباحثة بحثها بخاتمة تضمنت أبرز النتائج ، والتوصيات ، والمقترحات التي توصلت إليها ، وجرى العادة عند كتابة البحوث اللغوية انتهى البحث بقائمة المصادر والمراجع .

والله تعالى أسأل ان يحفظ كلّ من مدّ إليّ يد العون في سبيل اتمام بحثي المتواضع هذا ، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية : مقتضى الحال ، الدرس الدلالي ، النحو العربي

Required Case in the Semantic Arabic Grammatical Lesson

Vian Riad Adeeb

Iraqi Ministry of Education, Diyala Education Directorate

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the Seal of the Prophets and Messengers, and on his good and pure family and his companions.

This research, labeled as "the case in the semantic Arabic grammar" may constitute an important scientific linguistic necessity in the field of scientific research, and may open new horizons in this area.

This research consists of a preamble in which the researcher addressed the definition of the search terms: the case, the semantics in general, and the semantics in particular, and only two searches, the first section includes: the case and the predicate and assigned to it, while the second section: the case and the phenomenon of expressions, has The researcher concluded with a conclusion that included the main findings, recommendations, and suggestions reached, as usual when writing educational research finished research list of sources and references, and a summary in English for the introduction.

May Allaah preserve all those who lend me a helping hand in order to complete this humble research, and thank God the Lord of the Worlds.

Keywords: Required case, semantic lesson, Arabic grammar

التمهيد

مقتضى الحال والدرس الدلالي النحوي العربي

مقتضى الحال :

لابدّ للباحثة أن تعرّج على التسميات الشائعة المتعددة لهذا المصطلح التي تتلاقى بالمفهوم نفسه مهما تعددت هذه التسميات ، وأول ما نلاحظه تأكيد أعلام العربية أمثال : سيبويه والخليل والكسائي والفراء وابن جني أهمية السياق - المرادف لمصطلح مقتضى الحال - في الأحوال الإعرابية بحسب اللَّفْظ الذي ورد فيه من نفي ، أو نهى ، أو إثبات ، أو تعجب ، أو استفهام ، أو شرط ، ومن ثمّ قُسِّم هذا المصطلح الى قسمين أولهما : سياق داخلي يتعلق بالكلام نفسه وسياق خارجي يتعلق بظروف الكلام أو الكتابة ، وعلماء العربية مثلوا السياق أو مقتضى الحال تمثيلاً نظرياً يتعلق بضبط التعريفات وتمثيل وظيفي يعتمد على السياق أو مقتضى الحال ^(١) .

إنّ لمقتضى الحال امتدادات تاريخية عميقة ، إذ نجد أن علماء العربية لهم آراء في هذا المصطلح المهم ، فسيبويه قسم الكلام بموجبه إلى خمسة أقسام وهي :

١- مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ : نحو " زرتك أمس ، وسأزورك غداً " .

٢- مُحَالٌ : ويراد به نقض أول الكلام آخره نحو : " زرتك غداً ، وسأزورك أمس " .

٣- مُسْتَقِيمٌ كَذِبٌ : وهو كلام سليم لأزمة بعيدة المعنى نحو : " زرت سيبويه أمس " .

٤- مُحَالٌ كَذِبٌ : وهو يجمع بين المحال والكذب نحو : " سأزور سيبويه أمس " .

٥- مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ : وهو وضع المفردة في ما وضعت له في أساس اللغة ، أو في غير موضعها نحو : " قد زرتك أمس " ^(٢) .

وشاهد الحال تسمية أخرى عند ابن جني ، وتماشى مع هذه التسمية رمضان عبد التواب حتى بعد ترجمة المصطلح الانكليزي (Context of Situation) وتقلب عبد التواب في تسمية هذا المصطلح بين الأصل التاريخي ، والتفسير التاريخي ، والدلالة التاريخية ، وأخيراً استقر على شاهد الحال لينفق كما أشرنا مع ابن جني في هذه التسمية ^(٣) ، وتبقى التسمية الأشهر لهذا المصطلح " سياق الحال " كترجمة أخرى للمصطلح الانكليزي (Context of Situation) ^(٤) .

ونجد أن تمام حسان له نصيب في تسمية هذا المصطلح حين أطلق عليه تسمية (المقام) ؛ لأنّه يرى المصطلح يشتمل على المتكلم ، والسامع ، وأنّه ينظم العلاقات الاجتماعية وظروفها ، والفلكلور والعادات والتقاليد ^(٥) .

ونجد الباحث المحدث يخوض في مصطلح التداولية الذي يعنى بالكلام التداولي لتحقيق سلامة اللَّفْظ والمعنى وتحقيق الفائدة لدى السامع أو المتلقي بدلاً من مصطلح مقتضى الحال ^(٦) ، ويبدو أنّه ليس هناك ثمة اختلاف بين التسميتين لمفهوم المصطلح ذاته .

إنّ مصطلح مقتضى الحال يراد به اصطلاحاً : إيراد الكلام ليلائم حال المتكلم وظروفه ، وحال المخاطب وظروفه ، فحال المتكلم والمخاطب الحزين يختلف عن حال الآخر السعيد ويختلف عن حال الغاضب أو العادي أو الحاكم أو المحكوم ... وعند مراعاة الأحوال هذه يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال أي راعى أحوال المتكلم والمخاطب على حدٍ سواء ^(٧) .

الدلالة النحوية :

للمعنى مكانة كبيرة في الدراسات اللغوية والنحوية ؛ لذا نجد المكتبة العربية تعج بالمؤلفات التي تتعلق بعلم الدلالة وتتضح أهمية الدلالة عندما نلاحظ علماء وباحثين يخوضون في هذا العلم المهم من فلاسفة ومناطق ، وعلماء نفس ، وباحثين كثر في العلوم الإنسانية المتنوعة قديماً وحديثاً ^(٨) .

ولقد خاض الغربيون كذلك في دراسة علم الدلالة وقد ظهرت بوادر الدراسة في هذا العلم منتصف القرن التاسع عشر ، ويعدّ ماكس مولر أبرز من تدارس هذا العلم عندما أوضح ذلك : إنّ الفكر والكلام لابدّ أن يتطابقا معاً ، أما على مستوى إجراء دراسة علمية تتعلق بعلم الدلالة فقد كانت على يد ميشل بريبل وهو عالم لغة فرنسي ببحثه الموسوم بـ (السيمانتيك) وقد ركز على دلالة الألفاظ ، ويعدّ بحثه هذا دفعة قوية للتقدم في هذا العلم المهم في عالم اللّغويات ^(٩) ، ثمّ جاء صاحب التوجه الدلالي الجديد العالم

السويسري دي سوسير الذي درس معاني الكلمات عن طريق وصف دراسة المعاني وله مذهب مهم في التفريق بين اللغة والكلام (١٠) ، ولهذا العالم الكبير قولٌ مهمٌ وهو : " كلّ جزء من أجزاء اللغة عرضة للتطور وهذا يحدث بنسب مختلفة ولا يشعر به " (١١) ، وهو يريد بهذا القول أن الالفاظ ومعانيها أكثر ما تتعرض للتغيير أو التطور .

تعدّ الدلالة النحوية (التركيبية) أحد أنواع علم الدلالة (١٢) ، والدلالة مشتقة من مادة (دَلَل) التي يراد بها إبانة الشيء ، و يراد بها إرشاد الى الشيء والإبانة عليه (١٣) .

والدلالة في الاصطلاح هي : محصلة من استعمال الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة ، أو المنطوقة على مستوى التحليل أو التركيب (١٤) .

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ علم الدلالة بصورة عامة أصبح له تعبير يرد في دراسات المحدثين وهو (الوحدة الدلالية) المترجمة من المصطلح الإنكليزي (Semantic unit) والوحدة الدلالية في العربية هي الكلمة : اسماً كانت ، أو فعلاً ، أو حرفاً ، وهذا معروف جداً منذ القدم (١٥) ، ويتضح للباحثة من خلال ما ذكر أن علم الدلالة النحوية التركيبية هو علم متجدد باستمرار .

المبحث الأول

مقتضى الحال والمسند والمسند إليه

يعدّ مبحث مقتضى الحال وعلاقته بالمسند والمسند إليه من أهم مباحث علم الدلالة النحوية (التركيبية) ؛ لذلك عمدت الباحثة لاختياره أول مباحث هذا العمل العلمي البسيط ، إذ يلاحظ عند أهل اللغة العربية القدماء والمحدثين أن الخطاب أو الكلام ، لابدّ أنّ تحكمه مجموعة من الضوابط لبيان مقاصده بصورة واضحة جداً ، ولمعرفة هذه المقاصد علينا معرفة مقتضى الحال الذي أطلق فيه هذا الكلام أو الخطاب ، ثم بيان حال ذلك المتكلم وما يحيط به من ظروف مؤثرة جداً من : فرح ، أو حزن ، أو ضجر ، أو مرضى... الخ .

والخطاب أو الكلام مشكل من مجموعة من المفردات لا يتضح معنى المفردة نفسها أو بيان قيمتها المعنوية ، إلا عن طريق معرفة الحال ومقتضاه الذي أطلق فيه ضمن هذا الكلام المشكل (١٦) .

وقد أوضح ذلك السكاكي بقوله : " إعلم أنّ علم النحو هو أن تتحو الى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية ، وأعني كيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ، ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك " (١٧) .

يعدّ مفهوم الاسناد أساس تشكيل أي جملة تامة ذات معنى دلالي متكامل (١٨) ، وإن تشكيل هذه الجمل له ثلاثة محاور رئيسية ، هي : المسند إليه أو المتحدث عنه ، والمسند الذي يبنى على المسند إليه ويتحدث به عنه ، والإسناد وهو العملية العقلية الذهنية التي تربط المسند بالمسند إليه ، وقد فصل إمام النحويين سيبويه ذلك بقوله : " وهما ما لا يغني واحد منها عن الآخر ، ولا يجد المتكلم بدأً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبدُ الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهبُ عبدُ الله فلان للفعل من الاسم ، كما لم يكن الاسم الأول بدأً من الآخر في الابتداء " (١٩) .

وحتى يفهم المتلقي مقتضى حال الجملة وظروفها المحيطة التي اطلق فيها الكلام أو تمّ تلقيه ، لابدّ من معرفة أنواع الإسناد في العربية ، فأولها : جملة تبدأ باسم وتسمى جملة اسمية ، وثانيهما : جملة يكون فيها المسند فعلاً وتسمى جملة فعلية (٢٠) .

ويبدو أنّ الفرق بين الإسناد الاسمي والإسناد الفعلي واضح بين البلاغيين والنحويين ، فالبلاغيون واضحون أكثر في التفريق بين المصطلحين ، فهم ينظرون الى مقتضى حال الجملة ومعناها فمثلاً : عند تقديم الفاعل على الفعل فهذا في مفهومهم يفارق صفة النحوية إلى صفة أخرى (٢١) ، في حين نجد النحويين عند تقديم الفاعل على الفعل يغيرون عنوان الجملة من فعلية الى اسمية ، فالنحاة يبحثون عن عنصري طرفي الإسناد (المسند ، والمسند إليه) بصرف النظر عن مقتضى الحال والمعنى الجديد الذي يمكن أن يعطيه هذا الوضع (٢٢) .

وقد وضع إمام النحو سيبويه علاقة المسند بالمسند إليه بقوله : " هذا باب المسند والمسند إليه ، وهما لا يغني واحد منهما على الآخر ولا يجد منه بدءاً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : " عبدُ الله أخوك " و " هذا أخوك " واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء ، فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العدد " (٢٣) ، أما الجملة الفعلية فإن فعلها المبني للمجهول أو المعلوم يقوم وفاعله أو نائب فاعله توضح العلاقة بين المسند والمسند إليه (٢٤) .

والعلاقة بين المسند والمسند إليه قد تتعرض لبعض الظروف كالحذف والذكر ، أو التقديم والتأخير ، أو التعريف والتكثير ، وهذا يخرج لغاية معينة ، لا تتضح ملامحه إلا بالعودة الى مقتضى الحال الذي أطلق فيه الكلام (٢٥) .

إن عملية الحذف في الجملة الاسمية ، أو الفعلية لأحد ركني الإسناد قد يكون لغرض نحوي أو بلاغي أو لتأدية وظيفة الاختصار مثلاً التي تمتاز بها اللغة العربية ومعرفة أسباب الحذف تلتزم معرفة مقتضى حال القول ، وقال الجرجاني في عملية الحذف : " هو بابٌ دقيق المسالك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عند الإفادة ، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطرق ، وأتم ما تكون إذا لم تبين " (٢٦) ، ويعد الحذف من أهم الدراسات اللغوية المعاصرة الذي يحدد العلاقات داخل النص (٢٧) ، والباحثة هنا ليس بموطن استعراض ظاهرة الحذف أو الذكر ، بقدر ما تحاول بيان أهمية معرفة مقتضى الحال في فهم أسباب الحذف والذكر والوصول للمعنى الحقيقي للقاتل ، فمثلاً : نلاحظ حذف المسند إليه في الجملة العربية (٢٨) ، في قوله تعالى : " أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَذَابِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُثْسِلُ الْمُصِيرُ " (٢٩) ، فحذف المبتدأ بعد جواب الاستفهام وتقديره (هي النار) والنار هي خبره ، وإذا ما عرفنا مقتضى حال الآية الكريمة يتضح لنا أن سبب الحذف هنا للاختصار ، وأن للجرجاني آراء بسبب حذف المبتدأ هنا وخرج بمجموعة من التخريجات لسبب الحذف (٣٠) .

ومن مقتضيات حذف المسند إليه ما وجدناه في قول عمر بن أبي ربيعة عند الوقوف على الأطلال :

هل تعرف اليوم رسم الدار والظلال
كما عرغت بجفن الصيقل الخلا
دار لمروءة إذ أهلي وأهلهم
بالكانسية نرعى اللهو والغزلا (٣١)

ونرى أن الشاعر قد حذف المسند إليه (المبتدأ) والمقدر (بتلك الدار) ليتماشى ذلك وحالته النفسية الصعبة التي يمر بها ، وهو يشاهد بقايا دار الحبيبة ، وقد اعتراها الخراب والهجران بعد أن كانت تعج بالحياة ، ومقتضى الحال يفسر حالة الشاعر النفسية السيئة التي تتطلب منه الاختصار في الكلام (أي القول بأقل الكلمات إن أمكن) (٣٢) .

ومن أمثلة تقديم وتأخير أركان الاسناد للجمال الفعلية لمراعاة مقتضى الحال قوله تعالى : " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ " (٣٣) ، فإذا ما بحثنا عن مسوغ تأخير الفاعل (المسند إليه) معذرتهم ليفصل بذلك المفعول به الظالمين بين الفعل ينفع (المسند) ومعذرتهم الفاعل (المسند إليه) نجد هناك مسوغاً نحوياً أو تعليلاً نحوياً لذلك ، في حين نجد تعليلاً سياقياً آخرًا للنص ذاته يتعلق بحال إطلاق أو سبب إطلاق القول الكريم ، والهدف من الفصل بين المسند والمسند إليه بالفضلة المفعول به هو عدم قبول الله تعالى من هؤلاء الظالمين أي نوع من أنواع الأعذار يوم القيامة ؛ لأن هذه الأعذار واهية وغير حقيقية ؛ وبذلك ناسب الفصل بين أركان الاسناد بالمفعول به حتى يناسب النص مراد المتكلم الله سبحانه وتعالى (٣٤) .

المبحث الثاني

مقتضى الحال وظاهرة الإعراب

ظاهرة الإعراب من أهم الظواهر أو المفردات عند أهل اللغة وحتى عند المفسرين لفهم سياق الكلام وأحواله ، إذ إنّه يوضح الحال الذي قيل فيها الكلام ومعرفة مقتضياته أي بيان الغرض أو المعنى الحقيقي للكلام ، وبيان معانيه البلاغية والكشف عن جماليات التركيب وحسن الصياغة (٣٥) .

ويعد الإعراب مهيداً وسبباً لظهور ظاهرة الإعراب ، ودليل ذلك واضح في الروايات التاريخية المتواترة فمثلاً : نجد أن اللحن في الإعراب هو الذي دفع بأبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) أن يضع لنا أسس علم النحو بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣٦) ، وقد ذكرت بعض الروايات أن أبا الأسود الدؤلي سمع رجلاً يقرأ : " أن الله بريء من المشركين ورسوله " (٣٧) ، وذلك بكسر اللام ، فقال : " لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئاً أصلح به نحو هذا فوضع علم النحو " (٣٨) ، بمعنى إن وضع علم

النحو تأسس على بيان مقتضى الحال الذي أطلقت فيه آية قرآنية وبيان قيمتها السياقية في النص ، وتؤكد صحة هذا الاستنتاج عندما نعرف إن أبا الأسود الدؤلي لم يكتفِ فقط بوضع علم النحو بل قدم لنا (وضع الحركات الإعرابية على الحروف) وقيل : إنه اختار رجلاً من عبد القيس ، فقال له : " خذ المصحف وصبغا يخالف المداد ، فإذا فتحت شَفَتَيَّ فأُنقِط واحدةً فوق الحروف ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله ، فإن أتبعته شيئاً من هذه الحركات غُتِّه فانقط نقطتين ، ولابدّ من ذكر إنَّ واضع مصطلحات الإعراب الثلاثة : الرفع ، والجر ، والنصب ، والجزم هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ^(٣٩) ، فابتدأ بالمصحف حتى آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك " ^(٤٠) ، حتى قال عنه ابن قتيبة : " إنه أول من عمل في النحو كتاباً " ^(٤١) .

وظاهرة الإعراب تمثل قمة التطور اللغوي عند البشر ، حتى قيل إنها ليست مصاحبة لنشأة اللغة ^(٤٢) ، وتتطوي هذه الظاهرة المهمة تحت مسمى الدلالة النحوية (التركيبية) وهي مجموعة القوانين التي تخضع لها أي لغة على وجه المعمورة ، فبدون ذلك لا يمكن للغة أن تنجح في إيصال الرسائل الهادفة عبر الأشخاص أو الثقافات أو حتى الأزمنة ، وقد نبه سيبويه على خطورة ذلك عند ما وصف بعض الكلام بأنه مُحَال كذب ^(٤٣) .

لذلك نلاحظ الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز يعطي أهمية كبيرة للإعراب في تأسيس نظريته ^(٤٤) ، فهو يقول : " إنَّ ليس النظم إلّا أن نضع كلامك الوضع الذي يقتضيه - علم النحو - وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ، وذلك إنا لا نعلم شيئاً بنفسية الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وظروفه " ^(٤٥) ، ويرى الجرجاني أنّ معاني النحو هي أصل النظم الذي يعدّ أداة التي يعرف بها المعنى وتقلباته المختلفة ^(٤٦) .

وهذا ابن فارس يبين أهمية وظيفة الإعراب في كشف الحال الذي قيل فيه النص إذ يقول : " فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني ألا ترى أن القائل إذا قال : ما أحسن زيد ، لم يفرق بين التعجب والاستفهام ، والذم ، والإعراب ، وكذلك إذا قال : ضرب أخوك أخانا ، ووجهك وجهٌ حُرٌّ ، وجهك وجهٌ حُرٌّ ، وما أشبه ذلك من الكلام المشتبّه " ^(٤٧) .

ومن أهم الأعمال الدلالية لبيان أهمية الإعراب هو ما قام به العرب المسلمون قديماً بضبط المصحف ضبطاً محكاً وتشكيلاً لكل كلماته بل حروفه ؛ لأنّ ضبط الحروف والكلمات يعطي المعنى الدقيق للكلمة ضمن السياق أو الحال الذي تبتغيه ^(٤٨) .

وتتضح ضرورة الإفادة من مقتضى الحال (السياق) في التوجيه الإعرابي ^(٤٩) وقد احتج أهل اللغة في قوله تعالى : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " ^(٥٠) ، فقوله تعالى : " يتلونه حق تلاوته " حالاً وليس خبراً وقد احتجوا في ذلك بالاعتماد على مقتضى حال (سياق) الآية الكريمة التي نزلت بسببه ، إذ يقول ابن الانباري إنّ الجملة السابقة الواردة في قوله تعالى هي جملة : فعلية منصوبة على الحالية من المضمرة المنصوب في مفردة (آتيناهم) ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن يكون لفظ (يتلونه) الخبر ؛ لأنّ ذلك وجوباً على كلّ من يتلو القرآن أن يتلوه (حق تلاوته) ، وليس الأمر بهذا المفهوم فالذين أوتوا الكتاب هم الانبياء (عليهم السلام وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة والسلام) ^(٥١) ، بينما يقول العكبري إن جملة (يتلونه حق تلاوته) هي ليست خبراً بل حالاً ؛ لأنّه يرى : " أنهم لم يكونوا وقت إتيانه تالين له " ^(٥٢) .

ونلاحظ أنّ الآية القرآنية الآتية : " وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " ^(٥٣) ، إنّ العطف لا يتضح ولا يفهم المراد من الآية الكريمة إلّا بعد بيان مقتضى الحال ، فليس يدري القارئ دون إعراب : هل يعقوب معطوف على إبراهيم ، فيكون المعنى ، ووصى بها يعقوب بنيه أسوةً بإبراهيم ، أو معطوف على بنيه فيكون المعنى : ووصى بها إبراهيم بنيه ، ووصى بها يعقوب في جملة بنيه أيضاً ^(٥٤) .

وتتضح علاقة مقتضى حال النصوص والقول بظاهرة الإعراب جلية لنا عندما نسمع الفرزدق يقول في مطلع إحدى قصائده :

عَزَتْ بِأَغْشَاشٍ وَمَا كَدَتْ تَعْرِفُ وَأَنْكَرَتْ مِنْ حِذَاءِ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا هُمُومُ الْمُنَى وَالْهَوَجْلُ الْمُتَعَسِّفُ

وَعَضَ زَمَانٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مَنِ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفًا^(٥٥)

نلاحظ أنَّ الشاعر رفع مفردة (مجلف) ونصب (الحق) ، وهذا ولَّد كثيراً من التجاذب بين النحويين ، والآراء في هذه المسألة النحوية في محاولة لإيجاد مخرج لهذا الرفع بدل نصب ، والمخرج الحقيقي هو معرفة مقتضى حال الأبيات الشعرية ، فنجد الفرزدق يردُّ على عبد الله بن أبي اسحاق عندما سأله الأخير : " بِمَ رَفَعْتَ (مجلف) وكان ردُّ الفرزدق : " بما يسوؤك وينوؤك " ، وتابع الفرزدق قوله : " قلت ذلك - أي رفع مجلف بدل نصبها - ليشقَّى به النحويين " ^(٥٦) وهذا اعتراف واضح أنَّ مقتضى الحال يشير إلى أن الشاعر تعمد الخطأ ، وإنَّ النحويين درسوا الخطأ نحويًا صرفًا بغض النظر عن سبب القول ودوافعه ومراد الشاعر نفسه .

وليس هذا فحسب بل نجد أنَّ الشد والجذب طال بين الفرزدق وابن أبي اسحق ، وتعتمد الفرزدق الأخطاء في أبيات أخرى معانداً إذ يقول :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِخَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقُطْنِ مَنثور
عَلَى عَمَائِمِنَا تُلْقَى ، وَأَرْحَلُنَا عَلَى زَوَاحِفِ تَرْجِي مَخَارِيرِ^(٥٧)

ولا تعلم الباحثة سبب استمرار النحويين والباحثين في إيجاد تخريجات نحوية ولغوية وإعطاء تقديرات لمحذوفات مادام الشاعر يعتمد الخطأ معانداً ابن أبي اسحاق ، فهذا الفرزدق نفسه يقول : " أما إنِّي لو أشاء لقلت : على زواحف نمذجيها محاسير ، ولكني والله لا أقولها " ^(٥٨) حتى أبي الفرزدق أن يغيّر البيت إلّا بعد أن ألحَّ عليه ابن أبي اسحاق ^(٥٩) .

ويقال إنَّ مجلة الأهرام المصرية نشرت في أحد أعدادها عام ١٩٥٦ م ، نصّاً أو خبراً عنوانه : " الأسماك تأكل وجه سيدة وابنها الطفل " ، فلم يفهم المقصود بالمقال على وجه التحديد ، فهل عطف ابنها : على (وجه) فتكون الأسماك قد أكلت الابن كلّهُ أم على (سيدة) فتكون قد أكلت وجهه كما أكلت وجه أمه ؟ ^(٦٠) ، وهنا تتضح أهمية معرفة مقتضى الحال وبيان واقع الحادثة حتى يفهم العطف على وجه التحديد ، وبذلك يمكن القول : كما إنَّ للمعنى أهمية في ظاهرة الإعراب ، فإنَّ لمقتضى الحال والسياق أو الحال أهمية لا تقل عن المعنى في خدمة ظاهرة الإعراب التي تمثل أهم أجزاء علم النحو قديماً وحديثاً .

الخاتمة

- بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد كلّ ما قيل في متن هذا البحث ، أكون قد أتيت على خاتمته ، مستعرضة أبرز النتائج التي تمَّ التوصل إليها ، منها :
- ١- وجدت الباحثة أنَّ مصطلح مقتضى الحال له امتداد تاريخي واسع ومتشعب عند القدماء من اللّغويين وحتى المحدثين ، وقد أخذ هذا المصطلح مسميات متعددة حديثاً مثل : التداولية ، والسياق ، والمقام ، وآخر هذه التسميات الغربية هي السيمائية ، فهذه المسميات تدور بالفلك نفسه .
 - ٢- وجدت الباحثة أنَّ مبحث مقتضى الحال وعلاقته بمفهوم الإسناد ، من المباحث الواسعة جداً وفيها كثيرٌ من التداخلات التي تحتاج إلى توسع كبير حتى يتمَّ تغطيتها ، وقد يعجز بحث كهذا إلى ادراك اطرافه المتزامية ، حتى إنَّها تخضع لوجهات نظر متبادلة بين النحويين والبلاغيين ؛ وعليه تقترح الباحثة إجراء دراسة ممكن أن ترتقي لدرجة الماجستير تتعلق بهذا المبحث المهم .
 - ٣- إنَّ علماء اللّغة ، والباحثين في مجال اللغات بشكل عام واللّغة العربية بشكل خاص عليهم معرفة أهمية مقتضى الحال الذي قيل فيه النص أو المفردة لمعرفة دلالتها أو وظيفتها في الجملة وهذه الوظيفة تساعدهم في التوجيه الاعرابي للجمل أو النصوص .
 - ٤- وأخيراً ، أرى أن هذا البحث يهدف لبيان أهمية معرفة مقتضى الحال والظرف الذي قيل لمعرفة اثره على الدلالة النحوية (التركيبية) ، ولم يقصد من هذا البحث الخوض المفصل لبعض الظواهر النحوية كظاهرة الاسناد وما ينطوي تحتها ، أو ظاهرة الإعراب بالتفصيل ؛ لذلك اكتفت الباحثة بالوقوف على بعض الشواهد ومحاولة بيان أهمية معرفة مقتضى الحال على الدلالة النحوية (التركيبية) ، كما وبعد نتيجة من النتائج التي توصلت إليها ، إذ أنني لم أسمع ببحث سابقاً له - على حد علم الباحثة - ممّا يدفعني الى اقتراح الخوض في بحوث مماثلة تتناول مصطلحات البحث بعمق واتساع في المستقبل إن شاء الله تعالى .

الهوامش :

- (١) ينظر أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل والأحكام ، احمد عبادي ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص ٧.
- (٢) الكتاب ، سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (ت ١٩٨٨م) ، ط (٤) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ٢٥-٢٦.
- (٣) ينظر التطور اللغوي ومظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٥٥.
- (٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ط ٤ ، عالم الكتب ، ٢٠٠٤م، ص ٣٣٧.
- (٥) ينظر المرجع نفسه : ص ٣٣٨.
- (٦) انظر فضل صلاح بلاغة الخطاب وعلم النص ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٦.
- (٧) ينظر علوم البلاغة ، احمد مصطفى التفتازاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، د.ت. ص ٢٧.
- (٨) ينظر محاضرات في علم النفس اللغوي ، حنفي بن عيسى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ٢٤.
- (٩) ينظر علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ، احمد نعيم الكراعين ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٩٩٣، ص ٨٩.
- (١٠) ينظر أصول تراثية ، كريم زكي حسام ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥، ص ٢٨٠-٢٨١ .
- (١١) ينظر تطور دلالة الالفاظ ، ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠ ، ص ١١٠-١٠٩.
- (١٢) الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار (ت ١٩٦٦م) ، ط (٢) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م ، ص ١٦٥.
- (١٣) لسان العرب المحيط : ابن منظور (ت ٧١١هـ)، قدّم له عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، لا.ت. مادة دَلَل.
- (١٤) ينظر الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية ، عقيد خالد حمودي العزأوي ، وعماد بن خليفة الدابني البعقوبي ، الطبعة الأولى ، دار العصماء ، دار الماجد ، ٢٠١٤ .
- (١٥) ينظر علم الدلالة ، احمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ١٩٨٢، ص ١٩.
- (١٦) ينظر نحو علم الترجمة ، يوجين نيدا ، ترجمة ماجد النجار ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٢٣٩.
- (١٧) مفاتيح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، ص ٣٩.
- (١٨) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة ، الطبعة الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ٤٥.
- (١٩) الكتاب : ٢٣/١.
- (٢٠) ينظر الدلالة والمعنى ، دراسة تطبيقية : ص ٢٢٦ .
- (٢١) ينظر دلائل الاعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الطبعة الأولى (ت: ٣٧١م) تحقيق : د.محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص ٩٩.
- (٢٢) ينظر قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، سناء البياتي ، ص ٣٢.
- (٢٣) الكتاب : ٧/١.
- (٢٤) ينظر الدلالة والمعنى دراسة تطبيقية : ٢٣٢.
- (٢٥) ينظر في النحو العربي - قواعد وتطبيق - مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ١٤٤.
- (٢٦) دلائل الاعجاز : ص ١٤٦.
- (٢٧) ينظر لسانيات النص (مدخل الى انسجام الخطاب) ، محمد خطابي ، الطبعة الأولى ، المركز العربي الثقافي ، بيروت ، د.ت. ص ١٢١.
- (٢٨) ينظر دلائل الاعجاز : ١٣١.

- (٢٩) سورة الحج : من الآية ٧٢.
- (٣٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، لا. ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ٢ / ٢٥٥.
- (٣١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق ، فايز محمد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٥٤.
- (٣٢) ينظر دلائل الاعجاز : ص ١٤٧.
- (٣٣) سورة غافر : الآية ٥٢.
- (٣٤) ينظر الخصائص : ١/ ٢٩٣.
- (٣٥) ينظر المعنى والاعراب عند النحويين ونظرية العامل ، عبد العزيز عبده أبو عبد الله ، الطبعة الأولى ، منشورات الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع ، طرابلس ، الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤.
- (٣٦) ينظر المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص ١٣.
- (٣٧) التوبة من الآية ٢٣.
- (٣٨) ينظر مراتب النحويين ، لابي الطيب اللغوي ، مكتبة المعارف المصرية ، د.ت ، ص ٦.
- (٣٩) ينظر مفاتيح العلوم : ص ٤٤.
- (٤٠) ينظر نزاهة الالباب ، لابن الأنباري ، مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت ، ص ١٦-١٧.
- (٤١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح الاستاذ أحمد محمد شاكر ، دار المعارف المصرية ، ١٩٧٦ ، ص ٥٩.
- (٤٢) ينظر ظاهرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم ، احمد سليمان ياقوت ، كلية الآداب جامعة الرياض ، ١٩٨١ ، ص ٣.
- (٤٣) ينظر الكتاب ، ص ٢٦.
- (٤٤) ينظر دلائل الاعجاز : ٨١.
- (٤٥) المصدر السابق نفسه : ص ٨٢.
- (٤٦) ينظر المصدر السابق نفسه : ص ٨٢.
- (٤٧) الصاحبى : ص ٥٥.
- (٤٨) ينظر الخصائص : ١ / ٥٣.
- (٤٩) البيان في غريب إعراب القرآن ، كمال الدين أبو البركات أبى الانباري ، تح. د. طه عبد الحميد ، ج ١ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٢.
- (٥٠) البقرة الآية ١٢١.
- (٥١) ينظر البيان في اعراب غريب القرآن : ص ١٢٢.
- (٥٢) إملاء ما من به الرحمن ، ابو البقاء العكبري ، ج ١ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ ص ٦١.
- (٥٣) البقرة : الآية ١٣٢.
- (٥٤) ينظر من قضايا اللغة والنحو ، علي النجدي ناصف ، طبع ونشر مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٧.
- (٥٥) ديوان الفرزدق ، ج ٢ ، شرح وتحقيق عبد الله الصاوي ، المكتبة التجارية المصرية ، د.ت ، ص ٥٥٦.
- (٥٦) ينظر شرح شواهد الكشف ، للمرحوم محب الدين أفندي ، المطبعة البهية بمصر ، ١٩٢٥ ، ص ٨٥.
- (٥٧) ديوان الفرزدق : ج ١ ص ٢٦٣.
- (٥٨) أخبار النحويين البصريين ، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق قريش كركو ، المطبعة الكاثوليكية ، د.ت ، ص ٢٦-٢٧.
- (٥٩) ينظر أخبار النحويين والبصريين : ص ٢٧.
- (٦٠) ينظر من قضايا اللغة والنحو : ص ١٥-١٨.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أخبار النحويين البصريين ، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق قريش كرنكو ، المطبعة الكاثوليكية ، د.ت .
- ٣- أصول تراثية ، كريم زكي حسام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ .
- ٤- إملاء ما من به الرحمن ، أبو البقاء العكبري ، ج ١ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ .
- ٥- أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل والأحكام ، أحمد عبادي ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ .
- ٦- البيان في غريب إعراب القرآن ، كمال الدين أبو البركات ابن الانباري ، تحقيق د.طه عبد الحميد ، ج١، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٦٩ .
- ٧- التطور اللغوي ومظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الانجلو المصرية .
- ٨- التطور دلالة الالفاظ ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠ .
- ٩- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار (ت١٩٦٦م) ، ط(٢) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .
- ١٠- الدلالة والمعنى دراسة تطبيقي ، عقيد خالد حمودي العزاوي ، وعماد بن خليفة الدايني البعقوبي ، الطبعة الأولى ، دار العصماء ، دار الماجد ، ٢٠١٤ .
- ١١- دلائل الاعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الطبعة الأولى (ت:٣٧١م) تحقيق : د.محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٥ م .
- ١٢- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق ، فايز محمد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٩ .
- ١٣- ديوان الفرزدق ، ج ٢ ، شرح وتحقيق عبد الله الصاوي ، المكتبة التجارية المصرية ، د.ت ، ص٥٥٦ .
- ١٤- شرح شواهد الكشف ، للمرحوم محب الدين أفندي ، المطبعة البهية بمصر ، ١٩٢٥ .
- ١٥- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح الاستاذ أحمد محمد شاكر ، دار المعارف المصرية ، ١٩٧٦ .
- ١٦- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم ، احمد سليمان ياقوت ، كلية الآداب جامعة الرياض ، ١٩٨١ .
- ١٧- علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ١٩٨٢ .
- ١٨- علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ، أحمد نعيم الكراعين ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٩٩٣ .
- ١٩- علوم البلاغة ، أحمد مصطفى التفتازاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، د.ت .
- ٢٠- فضل صلاح بلاغة الخطاب وعلم النص ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصري ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
- ٢١- في النحو العربي - قواعد وتطبيق - مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص١٤٤ .
- ٢٢- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، سناء البياتي .
- ٢٣- الكتاب ، سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (ت١٩٨٨م) ، ط(٤) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٦ م .
- ٢٤- لسان العرب المحيط : ابن منظور (ت ٧١١هـ)، قدّم له عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، لا .ت، مادة دَلَل.
- ٢٥- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، محمد خطابي ، الطبعة الأولى ، المركز العربي الثقافي ، بيروت ، د.ت .
- ٢٦- اللّغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ط٤ ، عالم الكتب ، ٢٠٠٤م .

- ٢٧- محاضرات في علم النفس اللغوي ، حنفي بن عيسى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- ٢٨- المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص ١٣ .
- ٢٩- مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي ، مكتبة المعارف المصرية ، د.ت .
- ٣٠- المعنى والاعراب عند النحويين ونظرية العامل ، عبد العزيز عبده أبو عبد الله ، الطبعة الأولى ، منشورات الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع ، طرابلس الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، ١٩٨٢ .
- ٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، لا. ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ .
- ٣٢- مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .
- ٣٣- من قضايا اللغة والنحو ، علي النجدي ناصف ، طبع ونشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٩٥٧ .
- ٣٤- نحو علم الترجمة ، يوجين نيدا ، ترجمة ماجد النجار ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٦ .
- ٣٥- نزهة الالباب ، لابن الأنباري ، مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت .
- ٣٦- نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة ، الطبعة الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان ، القاهرة ، ١٩٩٧ .